السرد الوصفي في زيارة الناحية المقدسة

م. م. أحمد جاسم ثاني

كلية التربية – قسم اللغة العربية – جامعة البصرة

الملخص

ما زال تراث أهل البيت: بشكل عام ونصوص (الزيارة) بشكل خاص بحاجة إلى المزيد من البحث والدراسة والوقوف على مضامينها والحقائق التاريخية التي احتوتها، وفي هذا البحث نقف عند نص من نصوص الزيارة، وهي الزيارة المسماة بالناحية المقدّسة التي وردت عن الإمام المهدي المنتظر لنحلّل السرد الوصفي للوقائع والأحداث التي سجّلها هذا النص، ممهداً بالتعريف بالمصطلحات التي تألّف منها عنوان البحث، ومنتهياً بخاتمة تضمّنت نتائج البحث. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنيب. مصطلح (السرد الوصفي): للتعرّف على هذا المصطلح لابدّ من تفكيك جزئيه المتداخلين وتعريفهما، فالسرد يعني (قص الأحداث والأخبار، وحكايتها ونقلها من صورتها الحقيقية إلى صورة لغوية، سواء أكان هذا القص حقيقة أم خيالاً، وهو الطريقة التي يختارها المبدع أو المرسِل ليعرض من خلالها الحدث إلى المتلقي أو المرسَل إليه)، أما الوصف فهو (إنشاء يُراد به إعطاء صورة ذهنية عن مشهد أو شخص أو إحساس أو زمان للقارئ أو المستمع. وفي العمل الأدبي يخلق الوصف البيئة التي تجري فيها أحداث القصص). مصطلح (الزيارة): الزيارة في اللغة: من زاره يزوره زيارةً: بمعنى قصده، فهو زائرٌ وزَوْرٌ وزَوَارٌ، ويُسمى موضع الزيارة المَزَار، فالزيارة تعني: قصد المزور إكراماً وتعظيماً له واستيناساً به، وحينما يقصد الزائر ذلك المكان يتوجه إلى المزور بقراءة نص قائم على السلام وذكر الفضائل لصاحب المزار، وقد يتضمن الدعاء للزائر والمُزَار، وهذا النص يطلق عليه مصطلح (الزيارة). ويكاد يتفرّد الدكتور محمود البستاني في ذكر (الزيارة) بوصفها جنساً أدبياً في بعض مؤلفاته الأدبية والبلاغية، فعرّف (الزيارة) بأنها (شكل فنّي يماثل الأشكال الفنية الأخرى من حيث أدوات الصياغة: لفظياً وإيقاعياً وصورياً وبنائياً، لكنها تتميز عنها بكونها تتضمن بعداً وجدانياً يتجه إلى النبي وأهل البيت: بصفتهم شفعاء ووسائل إلى الله تعالى من جانب، وبصفتهم شخصيات منتقاة قد مارست الوظيفة العبادية بالنحو المطلوب من جانب آخر...)، وقد تضمن البحث وصفاً لقصة السبي ومسيرة الاربعين بذكر بعض النصوص الواردة فيها.

Descriptive narrative of the pilgrimage to the holy shrine

Lecturer. Ahmed Jassim Thani

College of Education / Basra University

Abstract

The heritage of Ahl al-Bayt in general and the pilgrimage texts in particular, are still in need for further research and study in their contents and the historical facts they contained.

In this research, we stopped at one of those texts named "The pilgrimage to the holy shrine", which was received from Imam al-Mahdi "pbuh". The descriptive narrative of this text has been analyzed by defining its terms in the research body at first, and ending with a conclusion that included the research results.

The term (Descriptive narrative) has to be dismantled in order to identify it, where (Narrative) means telling events and news, and transfer them from their real image into a language, whether this story was real or fiction, which is the way chosen by the creator or the narrator to offer from which the event to the recipient or consignee, while the (Description) is a creation intended to deliver a mental image of a scene.

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمدٍ وآل بيته الطيبين الطاهرين..

ما زال تراث أهل البيت عليهم السلام بشكل عام ونصوص «الزيارة» بشكل خاص بحاجة إلى المزيد من البحث والدراسة والوقوف على مضامينها والحقائق التاريخية التي احتوتها، وفي هذا البحث نقف عند نص من نصوص الزيارة، وهي الزيارة المسماة بالناحية المقدّسة التي وردت عن الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه لنحلّل السرد الوصفي للوقائع والأحداث التي سجّلها هذا النص، ممهداً بالتعريف بالمصطلحات التي تألّف منها عنوان البحث، ومنتهياً بخاتمة تضمّنت نتائج البحث.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنيب.

مصطلح (السرد الوصفي)

للتعرّف على هذا المصطلح لابدّ من تفكيك جزئيه المتداخلين وتعريفهما، فالسرد يعني ((قص الأحداث والأخبار، وحكايتها ونقلها من صورتها الحقيقية إلى صورة لغوية، سواء كان هذا القص حقيقة أم خيالاً، وهو الطريقة التي يختارها المبدع أو المرسِل ليعرض من خلالها الحدث إلى المتلقي أو المرسَل إليه))[1].

أما الوصف فهو ((إنشاء يُراد به إعطاء صورة ذهنية عن مشهد أو شخص أو إحساس أو زمان للقارئ أو المستمع. وفي العمل الأدبي يخلق الوصف البيئة التي تجري فيها أحداث القصص))[2].

مصطلح (الزيارة):

الزيارة في اللغة: من زاره يزوره زيارةً: بمعنى قصده، فهو زائرٌ وزَوْرٌ وزَوَارٌ، ويُسمى موضع الزيارة المَزار[3]، فالزيارة تعني: قصد المزور إكراماً وتعظيماً له واستيناساً به[4].

وحينما يقصد الزائر ذلك المكان يتوجه إلى المزور بقراءة نص قائم على السلام وذكر الفضائل لصاحب المزار، وقد يتضمن الدعاء للزائر والمُزار، وهذا النص يطلق عليه مصطلح «الزيارة».

ويكاد يتفرّد الدكتور محمود البستاني في ذكر «الزيارة» بوصفها جنساً أدبياً في بعض مؤلفاته الأدبية والبلاغية، فعرّف «الزيارة» بأنها ((شكل فنّي يماثل الأشكال الفنية الأخرى من حيث أدوات الصياغة: لفظياً وإيقاعياً وصورياً وبنائياً، لكنها تتميز عنها بكونها تتضمن بعداً وجدانياً يتجه إلى النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام بصفتهم شفعاء ووسائل إلى الله تعالى من جانب، وبصفتهم شخصيات منتقاة قد مارست الوظيفة العبادية بالنحو المطلوب من جانب آخر...))[5].

ونص الزيارة يشابه الدعاء من حيث المظهر الخارجي له، فهو نص قائم على المحاورة الانفرادية، ((والفارق بينه وبين الدعاء أنّ الأخير يتّجه إلى الله تعالى، والأول يتّجه إلى المعصومين من خلال كونهم شفعاء، أو وسائل بين الفرد والله تعالى))[6].

وهي من النصوص الشرعية التي يختصّ بها المشرّع الإسلامي (المعصوم)، ولا يُسمح للآخرين بتقليدها، كما في سور القرآن الكريم والدعاء والذكر[7].

ومن الناحية الفنية فإن نصوص الزيارة تجمع بين الترسّل وبين العبارة الإيقاعية والمصوّرة، لكن دون تكثيف في الصور والإيقاع، لكونها خواطر موجهة إلى الله تعالى أو إلى المعصوم وليست موجهة إلى الناس العاديين فيحتاج الخطاب إلى صياغة تصويرية وإيقاعية لتحريك عواطفهم[٨].

الزيارة في القرآن والسُّنَّة:

يرى بعض المفسرين أن الحث على الزيارة ورد في القرآن الكريم بشكل ضمني، كما في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٨٤)، يقول الشيخ جعفر السبحاني: ((إنّ الآية تسعى لهدم شخصية المنافق، وهزّ العصا في وجوه حزبه ونظرائه، والنهي عن هذين الأمرين بالنسبة إلى المنافق، معناه ومفهومه مطلوبية هذين الأمرين (الصلاة والقيام على القبر) بالنسبة لغيره أي للمؤمن))[٩].

يُفهم من ذلك أن زيارة قبر المؤمن والصلاة عنده أمرٌ مُستحب في ضوء الآية المباركة، أما في السنة الشريفة، فقد ذكرت الروايات أن رسول الله ﷺ قام بزيارة القبور في البقيع وأمر بزيارتها وعلّم الناس كيفية التكلم مع المزور وبيّن بعض آداب الزيارة[١٠]. ولعل في هذا الخبر إشارة إلى تاريخ الزيارة وأن رسول الله ﷺ هو أول من سنّها ووضع أصولها، فصارت من المستحبات في الإسلام.

زيارة الناحية المقدسة

من النصوص المأثورة في تراث أهل البيت عليهم السلام زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء الموسومة بزيارة الناحية المقدسة، و«الناحية المقدسة» مصطلح أطلقه الشيعة في زمن الغيبة الصغرى على الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه وذلك للتقية الشديدة، فكانوا لا يذكرونه بإسمه وإنما يرمزون له باسم الناحية المقدسة، فحين يُقال زيارة الناحية المقدسة بمعنى إن هذه الزيارة آتية من هذه الجهة[١١]، فسُمّيت بذلك لكونها صدرت عن الإمام الحجة إلى أحد نوابه الأربعة[١٢].

وزيارة الناحية فيها مزيج رائع من المودة الصافية والمعرفة واللوعة الممزوجة بالتوسل والرغبة، التي تبعث في الزائر حالة الانكسار والحُرقة إحساساً بالمسؤولية، وتحرّكه في طريق الالتزام المسؤول[١٣].

وهي قائمة على سرد الأحداث وتجسيد واقعة الطف وتصوير المشاهد الأليمة التي وقعت في يوم عاشوراء، إذ تمكّن منشئ النص من تلخيص كل تفاصيل هذه الواقعة وما انطوت عليه من ويلات وحسرات وآهات بأسلوب أدبي رفيع وتعبير لغوي بليغ وتصوير فني رائع، يمكن أن يلحظه المتلقي بكل وضوح، كما يُعدُّ هذا النص مصدراً مهماً لتوثيق مقتل الإمام الحسين عليه السلام لدى أرباب المقاتل الذين طالما أفادوا منه واقتبسوا كثيراً من مقاطعه وعباراته، ولاسيما تلك المقاطع التي تصور الأحداث بدقة وتفصيل، وتلامس العواطف وتستدر الدموع وتثير الأحزان، من أمثال قوله: ((فلما رأينَ النساء جوادك مخزيّاً، ونظرنَ سرجك عليه ملويّاً، بَرَزْنَ

من الخدور، ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات الوجوه سافرات، وبالعويل داعيات وبعد العز مذللات، وإلى مصرعك مبادرات...))[١٤]. فضلاً عن اقتباسهم خطاب الإمام المهدي عجل الله فرجه لجده وتعبيره عن لوعته وحسرته: ((فلأندبنك صباحاً ومساءً، ولأبكينَّ لك بدل الدموع دماً...))[١٥].

بنية السرد الوصفي في الزيارة

الاستهلال

من الطبيعي أن يُستَهل نص الزيارة بظاهرة السلام التي تُعد ركناً أساسياً فيه، فأول جملة ينطق بها الزائر هي: (السلام عليك...)، والهدف من ذلك بناء علاقة حميمة بين الزائر والمزور، فضلاً عن ذلك فإن هذه العلاقة هي علاقة حيّة، فالزائر حينما يبدأ بالسلام يستشعر حياة الذي يزوره ويتوقع أن يرد سلامه ويرى مكانه[١٦]، يؤيد ذلك ما رواه ابن فهد الحلي عن الصادق عليه السلام أنه قال: ((مَنْ كان له إلى الله تعالى حاجة فليقف عند رأس الحسين عليه السلام ويقول: يا أَبا عَبْدِالله، اَشْهَدُ أَنَّكَ تَشْهَدُ مَقامي وَتَسْمَعُ كَلامي وَأَنَّكَ حَيٌّ عِنْدَ رَبِّكَ تُرْزَقُ فَاسْأَلْ رَبَّكَ وَرَبِّي في قَضاءِ حَوائِجي، فأنها تُقضى إن شاء الله تعالى))[١٧].

فافتتح نص الزيارة بالسلام على أنبياء الله تعالى بالترتيب: آدم وشيث وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وشعيب وداود وسليمان وأيوب ويونس وعزير وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله[١٨]، إشارة إلى أن حرمة الإمام الحسين عليه السلام هي من حرمة الأنبياء عليهم السلام[١٩]، وتلميحاً إلى أنه وارثهم ويمثّل امتداداً لنهجهم ودعوتهم.

ثم يتدرّج النص بالسلام على أمير المؤمنين ثم السيدة الزهراء فالإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام، وهنا يطول السلام لأن الإمام الحسين هو المخصوص بهذه الزيارة، فيبدأ النص معدداً مناقبه وصفاته: ((السلام على الحسين الذي سمحت نفسه بمهجته، السلام على من أطاع الله في سره وعلانيته، السلام على من جعل الله الشفاء في تربته، السلام على من الإجابة تحت قبته، السلام على مَنْ الأئمة من ذريته...))[٢٠].

فمن أولى مناقب الإمام الحسين هي ما ختم بها حياته الشريفة وهي الشهادة في سبيل الله ودينه الحق، فالفعل «سَمَحَ» بمعنى: ((جاد وأَعطى عن كَرَمٍ وسَخاءٍ))[٢١]، و«المُهْجَة» بمعنى: ((دم القلب، ولا بقاء للنَّفْسِ بعدما تُراقُ مُهْجَتُها))[٢٢]، فأبرز ما وُصف به الإمام الحسين عليه السلام أنه سيد الشهداء، لأن فاجعة كربلاء وما تعرّض له في يوم عاشوراء لم يشهد التاريخ مثيلاً له.

معالم واقعة الطف

لقد رسمت زيارة الناحية معالم واقعة الطف الأليمة، وعرّفت مقام الإمام الحسين عليه السلام، كما دعت الزائر إلى تبني موقف واعٍ من قضية التولي والتبري: التولي لإمامه الشهيد في طريق إحياء دين خاتم الرسل صلى الله عليه وآله وتولي أصحابه وأنصاره الغر الميامين الذين تساقطوا الواحد تلو الآخر في سبيل العقيدة الحقة، والتبري من خط الظلام: خط الانحراف عن مسيرة الرسالة المحمدية البيضاء، الذي جسّده يزيد وأعوانه[٢٣].

وبعدما مهّد النص بالسلام على الأنبياء والأوصياء: انتقل إلى سلام خاص للإمام الحسين عليه السلام مقترن بوصف حاله وما نزل به من مصاب: ((السلام على المرمّل بالدماء، السلام على المهتوك الخباء... السلام على شهيد الشهداء السلام على قتيل الأدعياء، السلام على ساكن كربلاء، السلام على من بكته ملائكة السماء...))[٢٤].

ومن بعدها ولج إلى الموضوع المركزي الذي دارت حوله عناصر النص، ألا وهو سرد الواقعة ووصفها، فهو يصور الوقائع عبر أسلوب السلام على أعضاء الجسد الطاهر للإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه: ويذكرها بالتفصيل، وفي كل مقطع من مقاطع النص تنتظم العبارات على نسق إيقاعي واحد من حيث توازن الألفاظ وتناسب الفواصل، مما يعطي النص مزيداً من الجمالية والتأثير في إيصال الرسالة للمتلقي: ((السلام على الجيوب المضرجات، السلام على الشفاه الذابلات، السلام على النفوس المصطلمات، السلام على الأرواح المختلسات، السلام على الأجساد العاريات، السلام على الجسوم الشاحبات، السلام على الدماء السائلات، السلام على الأعضاء المقطعات، السلام على الرؤوس المشالات...))[٢٥].

ويستمر النص بسرد المصائب مع تضمين بعض الحقائق القرآنية والتاريخية وتفاصيلها التي تشكّل محور اللوعة والحزن: ((السلام على الأبدان السليبة، السلام على العترة القريبة، السلام على النازحين عن الأوطان، السلام على المدفونين بلا أكفان، السلام على الرؤوس المفرقة عن الأبدان، السلام على المحتسب الصابر السلام على المظلوم بلا ناصر، السلام على ساكن التربة الزاكية، السلام على صاحب القبة السامية...))[٢٦]. فقد تضمن هذا المقطع الإشارة إلى قرب العترة من رسول الله صلى الله عليه وآله بصريح القرآن: ﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[٢٧]، كما تشير عبارة (النازحين عن الأوطان) إلى حركة الإمام الحسين عليه السلام وخروجه بالنساء والعيال بدءاً من المدينة المنورة وانتهاءً بكربلاء، التي عبّر عنها النص بالتربة الزاكية، فضلاً عن تنبؤه عن مستقبل هذه البقعة المباركة من أرض كربلاء: ((السلام على صاحب القبة السامية))[٢٨]، إذ لم يكن بناء ولا قبة بهذا السمو آنذاك.

ويكرّر الإمام سلامه على أعضاء البدن الطاهر، وذكر بعض الأوصاف التي ترسم معالم سيد الشهداء وحالته من أمثال قوله: ((السلام على من أُريق بالظلم دمه، السلام على المُغَسَّلِ بدم الجراح، السلام على المُجَرَّعِ بكاسات الرماح... السلام على المنحور في الورى... السلام على المقطوع الوتين... السلام على الشيب الخضيب، السلام على الخد التريب، السلام على البدن السليب، السلام على الثغر المقروع بالقضيب، السلام على الأجسام العارية في الفلوات، تنهشها الذئاب العاديات، وتختلف إليها السباع الضاريات))[٢٩].

وصف حالة الزائر (صاحب النص)

ثم ينتقل إلى وصف نفسه وحالته عليه السلام ومشاعره بوصفه زائراً، فيخاطب جده بقوله: ((... سلامُ مَنْ قلبُه بمصابك مقروح، ودمعه عند ذكرك مسفوح، سلام المفجوع الحزين الواله المستكين، سلام مَنْ

لو كان معك بالطفوف لوقاك بنفسه حدّ السيوف، وبذل حشاشته دونك للحتوف، وجاهد بين يديك، ونصرك على من بغى عليك، وفداك بروحه وجسده وماله وولده، وروحه لروحك فداء، وأهله لأهلك وقاء))[٣٠]. وقد تمثّل السرد هنا بصورة فنية تقوم على أسلوب الفرضية، فالإمام يفترض أنه لو كان حاضراً في يوم عاشوراء مع جده لوقاه بنفسه وجاهد بين يديه ونصره وفداه بروحه وجسده وماله وولده... لذلك يُتبع هذه الصورة بقَسَم ومبالغة تعبيراً عن شدة حزنه وألمه: ((فلئن أخَّرَتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة مناصباً، فلأندُبَنَّك صباحاً ومساءً، ولأبكينَّ لك بدل الدموع دماً، حسرة عليك، وتأسفاً على ما دهاك، وتلهفاً حتى أموت بلوعة المصاب، وغصة الاكتياب))[٣١].

العودة إلى سرد الوقائع

ويعود النص ليؤكد مرة أخرى ويكرر سرد الوقائع التأريخية الأليمة عبر تسلسل زمني منتظم، وتعبير أدبي وصفي، وبناء إيقاعي مؤثر، وعواطفَ حزنٍ صادقة: ((حتى إذا الجور مدَّ باعه، وأسفر الظلم قناعه ودعا الغيُّ أتباعه، وأنت في حرم جدك قاطن، وللظالمين مباين، جليس البيت والمحراب، معتزل عن اللذات والشهوات، تنكر المنكر بقلبك ولسانك، على حسب طاقتك وإمكانك))[٣٢]، فالإمام الحسين عليه السلام لما رأى استبداد الظلم والباطل والخطر المحدق بالإسلام نهض بواجبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فترك مدينة جدّه التي هي ملاذه الآمن وآثر على نفسه بالخروج مع عياله وأهل بيته لأداء تلك المهمة الصعبة: ((ثم اقتضاك العلم للإنكار، ولزمك أن تجاهد الفجّار، فسرت في أولادك وأهاليك، وشيعتك ومواليك، وصدعت بالحق والبينة، ودعوت إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وأمرت بإقامة الحدود، والطاعة للمعبود، ونهيت عن الخبائث والطغيان، وواجهوك بالظلم والعدوان))[٣٣]، فما كان من أهل الفسوق والعصيان إلا أن يواجهوه بالظلم والعدوان على الرغم من أنه لم يبدأهم القتال بل ألقى عليهم الحجج ووعظهم وذكّرهم إلا أن نصحه لم ينفع مع قوم أستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله: ((فجاهدتهم بعد الإيعاز لهم، وتأكيد الحجة عليهم، فنكثوا ذمامك وبيعتك وأسخطوا ربك وجدك، وبدؤوك بالحرب))[٣٤].

وقد تخلّل هذا السرد ذكر بعض مناقب الإمام الحسين عليه السلام وصولاته في الحرب وشجاعته وشدة بأسه: ((فثبتَّ للطعن والضرب، وطحنت جنود الفجار، واقتحمت قسطل الغبار، مجالداً بذي الفقار، كأنك علي المختار. فلما رأوك ثابت الجاش، غير خائف ولا خاشٍ، نصبوا لك غوائل مكرهم وقاتلوك بكيدهم وشرهم))[٣٥].

وهكذا يستمر السرد لوقائع يوم عاشوراء وما ارتكبه معسكر الضلال من جرائم يندى لها جبين الإنسانية: ((وأمر اللعين جنوده، فمنعوك الماء وورودَه، وناجزوك القتال، وعاجلوك النزال، ورشقوك بالسهام والنبال، وبسطوا إليك أكف الاصطلام، ولم يرعوا لك ذماماً، ولا راقبوا فيك أثاماً، في قتلهم أولياءك، ونهبهم رحالك...))[٣٦]،

وهنا بلغ النص ذروته في سرد الأحداث، فوصل إلى ذكر المصيبة ونعي الإمام الحسين عليه السلام الذي جاد بنفسه الزكية: ((فأحدقوا بك من كل الجهات، وأثخنوك بالجراح... حتى نكسوك عن جوادك، فهويت إلى الأرض جريحاً، تطؤك الخيول بحوافرها أو تعلوك الطغاة بيواترها... والشمر جالس على صدرك، ومولغ سيفه على نحرك، قابض على شيبتك بيده، ذابح لك بمهنده، قد سكنت حواسك، وخفيت أنفاسك، ورفع على القناة رأسك))[٣٧]، فما أعظمها من مصيبة بكت لها السماوات والأرض وما فيهن.

قصة السبي ومسير الأربعين

ولم يقف النص عند هذا الحد بل يسترسل بذكر المصائب التي أعقبت تلك الفاجعة من سبي وأسر وتعذيب لأهل بيته وعياله: ((وسُبي أهلك كالعبيد، وصفدوا في الحديد، فوق أقتاب المَطِيّات، تلفح وجوههم حر الهاجرات، يساقون في البراري والفلوات، أيديهم مغلولة إلى الأعناق يطاف بهم في الأسواق...))[٣٨]، إلى أن انتهت مسيرة السبي وعادوا إلى مدينة جدهم صلى الله عليه وآله: ((فقام ناعيك عند قبر جدّك الرسول صلى الله عليه وآله، فنعاك إليه بالدمع الهطول قائلاً يا رسول الله قُتِل سبطك وفتاك، واستبيح أهلك وحماك، وسُبيت بعدك ذراريك، ووقع المحذور بعترتك وذويك))[٣٩].

كما نقل الإمام ما حصل في عالم الغيب على إثر هذا المصاب الجلل لأبي عبد الله الحسين وأهل بيته وأصحابه: ((فانزعج الرسول، وبكى قلبه المهول، وعزّاه بك الملائكة والأنبياء، وفجعت بك أمك الزهراء، واختلفت جنود الملائكة المقربين تعزي أباك أمير المؤمنين، وأقيمت لك المآتم في أعلا عليين، ولطمت عليك الحور العين، وبكت السماء وسكانها والجنان وخزانها، والهضاب وأقطارها، والبحار وحيتانها، والجنان وولدانها، والبيت والمقام، والمشعر الحرام، والحل والاحرام))[٤٠]. فمفردات الحسرة والبكاء وندبة الصباح والمساء ستظل أنيسة صاحب الزمان عجل الله فرجه في غيبته إلى أن يأذن الله تعالى له بالظهور والأخذ بثارات جدّه عليه السلام.

الاختتام بالدعاء

ويختتم نص الزيارة بالتوجه إلى الله تعالى والدعاء والتوسل برسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته وطلب الحاجات الدنيوية والأخروية للزائر: ((اللهم فبحرمة هذا المكان المنيف، صل على محمد وآل محمد، واحشرني في زمرتهم وأدخلني الجنة بشفاعتهم، اللهم إني أتوسل إليك...))[٤١].

خاتمة البحث

لعل أهم ما نتج عن البحث في هذا الموضوع أن (الزيارة) جنس أدبي، لا يختلف عن الأجناس الأدبية الأخرى في الصياغة اللفظية، إذ يحتوي على بنية صوتية وتصويرية وبنائية، إلا أنه يتميّز عنها بالبعد الوجداني الذي يمكن أن يُصنّف ضمن أدب الرثاء، رثاء رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته، كما يشترك هذا اللون الأدبي مع أدب الدعاء في كون كل منهما يقوم على الحوار الانفرادي، إلا أن الدعاء موجه إلى الله تعالى، والزيارة موجهة إلى المعصوم (المُزار)، وقد اختار البحث أنموذجاً من نصوص زيارة الإمام

الحسين عليه السلام ألا وهي «زيارة الناحية المقدّسة» الواردة عن الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه، فتبيّن البحث أنها قائمة على السرد الوصفي لأحداث النهضة الحسينية وحركتها ابتداءً من المدينة المنورة وانتهاءً بكربلاء وما حصل في يوم عاشوراء وما تبعها من أحداث أليمة من أسرٍ وسبيٍ وتعذيبٍ لآل محمد صلى الله عليه وآله وهو ما يعبّر عنه بمسير الأربعين، اختزلها النص بأسلوب تعبيري أدبي رثائي مفجع، ودوّن فيها أهم الحقائق التاريخية لهذه النهضة المباركة.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمدٍ وآل بيته الطيبين الطاهرين.

الهوامش

(١) مستويات السرد الوصفي القرآني، د. طلال خليفة سلمان: ١٦.

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس: ٤٣٣.

(٣) ينظر: مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي: ٣/ ٣١٩-٣٢٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ٣٢٠.

(٥) تاريخ الأدب العربي، د. محمود البستاني: ٢٣٩.

(٦) القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني: ٢٩١.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٢٩٢.

(٨) تاريخ الأدب العربي: ٢٤٠.

(٩) الزيارة في الكتاب والسنة، الشيخ جعفر السبحاني: ١٦.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه: ١٩.

(١١) ينظر: مكتبة زهرائيون، موقع إليكتروني: www.zahraunmak.com

(١٢) ينظر: الصحيفة المهدية، الشيخ إبراهيم الكاشاني: ٣٥٢.

(١٣) ينظر: (مقال): قراءة في سند زيارة «الناحية المقدّسة»، شبكة الإمام الرضا عليه السلام: www.imamreza.net

(١٤) بحار الأنوار، المجلسي: ٩٨/ ٣٢٢.

(١٥) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢٠.

(١٦) ينظر: الناحية المقدسة، الشيخ شفيق جرادي: ١٨.

(١٧) عدة الداعي ونجاح الساعي، ابن فهد الحلي: ٥٦.

(١٨) ينظر: بحار الأنوار: ٩٨/ ٣١٧-٣١٨.

(١٩) ينظر: الناحية المقدسة: ٣٢-٣٣.

(٢٠) بحار الأنوار: ٩٨/ ٣١٨.

(٢١) لسان العرب، ابن منظور، (سمح): ٢/ ٤٨٩.

(٢٢) المصدر نفسه، (مهج): ٢/ ٣٧٠.

(٢٣) ينظر: (مقال): قراءة في سند زيارة «الناحية المقدّسة»، شبكة الإمام الرضا عليه السلام: www.imamreza.net

(٢٤) بحار الأنوار: ٩٨/ ٣١٨.

(٢٥) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣١٩.

(٢٦) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣١٩.

(٢٧) الشورى: ٢٣.

(٢٨) بحار الأنوار: ٩٨/ ٣١٩.

(٢٩) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣١٩.

(٣٠) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢٠.

(٣١) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢٠.

(٣٢) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢١.

(٣٣) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢١.

(٣٤) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢١.

(٣٥) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢١.

(٣٦) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢١-٣٢٢.

(٣٧) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢٢.

(٣٨) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢٢.

(٣٩) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢٣.

(٤٠) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢٣.

(٤١) المصدر نفسه: ٩٨/ ٣٢٣.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. بحار الأنوار، المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، ط/ ٢، ١٤٠٣هـ.

٢. تاريخ الأدب العربي، د. محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد- إيران، ط/ ١، (د.ت).

٣. الزيارة في الكتاب والسنة، الشيخ جعفر السبحاني، دار الأضواء، بيروت-لبنان، ط/ ١، ٢٠٠٤م.

٤. الصحيفة المهدية، الشيخ إبراهيم الكاشاني، دار الحوراء، بيروت-لبنان (د.ت).

٥. عدة الداعي ونجاح الساعي، ابن فهد الحلي، مكتبة وجداني، قم-إيران، (د.ت).

٦. قراءة في سند زيارة «الناحية المقدّسة»، شبكة الإمام الرضا عليه السلام: www.imamreza.net.

٧. القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، د.محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد-إيران، ط/ ١، ١٤١٤هـ.

٨. لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، ط/ ١، ١٤٠٥ هـ.

٩. مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، تح: أحمد الحسيني، الناشر: مرتضوي، طهران، ط/ ٢، (د.ت).

١٠. مستويات السرد الوصفي القرآني، د. طلال خليفة سلمان، منشورات الرافد، ط/ ١، ٢٠١٢م.

١١. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط/ ٢، ١٩٨٤.

١٢. مكتبة زهرائيون، موقع إليكتروني: www.zahraunmak.com

١٣. الناحية المقدسة، الشيخ شفيق جرادي، دار المعارف الحكمية، ط/ ١، ٢٠٠٨.